مخططات التنظيم النصي في الدراسات النصية الحديثة
(البنية المقطعية عند جون ميشال أدم)

أ(ة).سعاد ميرود
جامعة الجزائر2

ملخص:

يتناول المقال إحدى القضايا الأساسية في اللسانيات النصية من خلال مقترحات ج. م. أدم الذي يعتبر النص بنية متكونة من مقاطع لا متجانسة من حيث أنماطها وبالتالي يعتبر المقطع وحدة للتحليل، وهذا ضمن دراسة لمخططات تنظيم النص المقترحة من قَبْل من طرف **ميشال شارول**. ويتضمن المقال أيضا مثالا لنمط السرد في سورة يوسف التي يتخللها أيضا مقاطع من أنماط حوارية وحجاجية ووصفية تخدم كلها سيرورة الأحداث في القصة.

الكلمات المفتاحية: مخططات تنظيم النص، البنية المقطعية، المقطع، نمط النص، اللاتجانس النصي.

Abstract:

This article deals with Adam's plans of text organisation developed from Charolles suggestion for text study. Adam considers the text as heterogeneous structure consisting of different types of sequences, and thus he considers the sequence as the analysis unit. The article proposes also a sample study of the narrative typology in 'surat Yousuf' which is characterised by its heterogeneity that appeares through the presence of other types of sequences in the text.

Key words: plans of text organisation, sequential structure, sequence, text typology, textual heterogeneity.

مقدمة:

بعد تغير مسار الدراسات اللسانية من الجملة إلى النص نهاية الستينات وبداية السبعينات، اصبح النص يمثل الوحدة اللغوية الأساسية. وقد تعددت وجهات النظر فيما يخص النص بتعدد التصورات والمنطلقات مما أدى إلى تعدد تعريفاته، لكن اتفقت معظمها في كون النص وحدة دلالية[1]، وهوما ذهب إليه **ج. م. أدم** الذي ينطلق في دراسته للنص من تعريف شامل يلم بجوانبه العديدة، يقول فيه:" النص متتالية من الوحدات تمثل كلا يحمل دلالة واحدة والمرتبطة فيما بينها مكونة مقاطع تنمو نحو نهاية"[2]، فالنص وحدة دلالية وليس فقط مجموعة من الجمل المنتظمة بشكل خطي، وتكون مع بعضها البعض باقة تسمى مقطعا، و" ترتبط المقاطع فيما بينها مكونة وحدة متسقة ومنسجمة هي النص"[3].

ويقول في موضع آخر:" النص بنية مقطعية تتكون من عدد (ن) من المقاطع التامة أو غير التامة، حيث يضم النص من مقطع واحد إلى عدد غير محدود من المقاطع، فألف ليلة وليلة والقصيدة الشعرية والحوار القصير أو الخطاب السياسي كلها تعتبر بنى مقطعية"[4]، واعتماد تعريف النص كبنية مقطعية يمكننا من رؤية تركيبته المقطعية اللاتجانسية، فقد يتكون النص من مقطع واحد أو عدة مقاطع مختلفة (سردية، وصفية، حوارية...).

---

1) M.A.K.Haliday and Ruqaia Hasan, Cohesion in English, LONGMAN, London,1976, p6-7

2) Jean- Michel Adam, :Eléments de linguistique textuelle, théorie et pratique de l'analyse textuelle, piere Mardaga, Luxembourg,1990,p49.

3) Ibid.

4) Ibid, p84

أما عن وحدات التحليل عند **أدم** فيقول: " النص مكون من مجموعة من الوحدات المترابطة"[1]، والوحدات المكونة للنص حسب المستوى هي الجمل والمقاطع، وعلى هذا الأساس تعتبر الجملة وحدة التحليل النصي في مستوى أول وتسمى الجملة الملفوظ (proposition énoncé)، وهي ناتجة عن عملية التلفظ مشكلة الخطاب ومحققة للنصية[2]، ويعتبر المقطع وحدة التحليل في مستوى ثان.

إذن النص ليس مجرد مجموعة من الجمل المتتالية، ولكن النص كل تنتظم عناصره لتؤدي معنى معين، " فطريقة انتظام النص في متتاليات من الملفوظات المرتبة عموديا يفسر بمخطط النص الذي يلعب دورا أساسيا في صنع البنية الكبرى للنص"[3].

1-مخططات التنظيم النصي:(plans d'organisation textuelle)

إن دراسة كيفية انتظام النصوص قديمة تعود للبلاغة القديمة التي كان لها دور هام في ترتيب الحجج في النص المكتوب والمنطوق وتعتبر طريقة الترتيب تلك من الإبداع، فليس من السهل أبدا إيجاد المكان المناسب لكل عنصر في النص، وقد كان المتكلم في النص المنطوق يتخذ مخططا معينا لترتيب أقواله حيث يبدأ ب**مقدمة (exorde)** تهدف إلى لفت انتباه المستمعين يتبعها ب**اقتراح** proposition يتمثل في ملخص القضية التي يتناولها في خطابه والنقاط التي سيتطرق إليها في العرض أي يقدم مخطط خطابه، ثم يقوم بسرد **العرض** الذي

1) Jean- Michel Adam, Linguistique textuelle, des genres de discours aux textes, Edition Nathan/HER, Paris, 1999,p18.
2) Ibid, p50.
3) Patrick Chaudeau et Dominique Maingueneau : Dictionnaire D'Analyse du Discours,Edition Seuil,2002,p433.

يشرح فيه القضية المطروحة في مقترحه ويبرهن فيه على صحتها، ويمكن أيضا أن يعرض حجج الرأي المخالف لإحباطها. ويختم خطابه **بخاتمة** (péroraison) تؤثر في المستمع.[1]

غير أن البلاغة القديمة لم تدرك أن النصوص –حتى وإن كانت قصيرة– تنتظم في أشكال متتالية كالأدوار والمقاطع، ويكون هذا التنظيم إما عرفيا اتفاقيا يفرضه نوع النص (قصة، قصيدة، مقال صحفي، خطاي سياسي...) أي أنه معروف مسبقا، أو مبتدعا يبرز من خلال عملية التقطيع إلى عناوين فرعية، فقرات، فصول، ترقيم، فهارس...[2]

ومن أجل تنظيم الملفوظات في النص وتمكين المتلقي من الاطلاع على البنية التركيبية للنص اقترح **ميشال شارول** Michel Charolles سنة 1988 أربعة مخططات لتنظيم النص هي: الدور (période) والسلسلة (chaine) والمدى (portée) والمقطع (séquence).

1.1.مخططات تنظيم النص عند ميشال شارول:

1.1.1. الدور:

يعتبر **شارول** الدور متتالية من الجمل البسيطة أو المركبة المرتبطة نحويا ودلاليا مشكلة وحدة يمكن عزلها عن باقي النص دون تأثر أحدهما دلاليا ودون الإخلال بتنظيم النص. ويتمثل الربط النحوي في العطف (coordination)

1) Charaudeau et maingueneau : dictionnaire De L'Analyse du discours, Op.Cit, p333-334.
2) Ibid, p 334.

والتعالق (subordination) والفصل(juxtaposition) والتقطيع إلى فقرات (segmentation). ويضمن الربط النحوي والدلالي والتداولي تتابع الأحداث المسرودة داخل الدور.[1] والمثال الآتي يوضح الدور حسب **شارول:**

- يعاني المصابون بالسكري من مشاكل تحويل الغذاء إلى طاقة الاستقلاب(التمثيل الغذائي)، فبعد تناول وجبة الطعام، يتم تفكيك النشويات فيه إلى سكر يدعى الغلوكوز، ينقله الدم إلى جميع خلايا الجسم للاستفادة منه وإنتاج الطاقة وتحتاج أغلب خلايا الجسم إلى الأنسولين ليسمح بدخول الغلوكوز من الدم والوسط بين الخلايا إلى داخل الخلايا[2].

يمثل هذا التتابع الجملي وحدة مستقلة دلاليا عن ما يسبقها وما يلحقها، حيث ترتبط الجمل في هذا الدور نحويا بحروف العطف كالفاء والواو، اما حين يغيب الرابط النحوي فنعود لاستغلال الرابط الدلالي.

2.1.1. السلاسل:

يقصد بالسلاسل تتابع الأدوات الإحالية من ضمائر وأسماء إشارة... في النص تفاديا للتكرار. وقد تتعدّد السلاسل الإحالية في النص الواحد[3] وتتعلق الإحالة بموضوع النص مهما كانت طبيعته، اي إنسان، حدث، موضوع معنوي...، وقد نجد في سورة البقرة ما يوضح قضية السلاسل الاتساقية الضميرية،قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ

---

1) Michel Charolles : Les plans D'organisation textuelle, périodes, chaines, portées et séquences, Pratiques N° 57,1988,p 6-7.

2) الوكيبيديا، الموسوعة الحرة.

3) Michel Charolles. Op cit, P08.

بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ ﴾ سورة البقرة.

يحتوي هذا الجزء من الآية الكريمة على ثلاث سلاسل ضميرية؛ تتضمن السلسلة الأولى ضمير الجمع المخاطب 'أنتم' الذي يعود على 'الذين آمنوا'، يليه ضمير المفرد الغائب 'هو' العائد على ' كاتب الدين'، يتبع في السياق بضمير المفرد الغائب 'هو' العائد على 'الذي عليه الحق'، ليوجه الخطاب مرة أخرى للمخاطب 'أنتم'، وهذا المخطط يبين ذلك:

وتؤدي الإحالات في هذا النص– مع تعدد المحال إليهم– وظيفة الربط النحوي الذي يخدم بدوره الترابط الدلالي.

3.1.1.المدى:

يأخذ المدى جزءً من النص ينقل فيه المتكلم آراء وأفكار متكلمين آخرين مستعينا بعبارات من قبيل: قال (س)، بالنسبة لـ (س)، حسب رأي (س)، يظن (س)، في اعتقاد(س)، بعبارة أخرى تنقل الأقوال بلفظها أو بمعناها، كما هو مبين في المثال الآتي:

- ما زلت أذكر تماما حضور(سي الطاهر) الأخير، عندما جاء يتفقدني قبل سفري بساعة، ووضع ورقة صغيرة في جيبي وبعض الأوراق النقدية، وقال وهو ينحني علي وكأنه يودعني سرا: " **لقد وضعت في جيبك عنوان العائلة في تونس وشيئا من الدراهم**"[1].

يحمل هذا المثال قولا مباشرا لسي الطاهر ينقله الراوي في سياق سرده للأحداث، والقول هنا منقول بلفظه ومعناه لذا تم وضعه بين مزدوجتين.

4.1.1.المقطع:

تنتج المقاطع عن عملية تقطيع الخطاب شفويا كان أم مكتوبا، ففي الخطاب المكتوب تعرف المقاطع بالفقرات التي تتوافق في دلالتها مع العنوان الذي يشكل لوحده مقطعا. أما في الخطاب الشفوي فتعرف المقاطع بالسكتات الطويلة، التي تطرح مشكلا وهو مخاطرة المتكلم بتضييع دوره في الكلام، لذلك فإن المتكلم بحاجة إلى وسائل يقطع بها خطابه إلى فقرات مثل: من جهة/ من جهة أخرى، فيما يخص، اضافة إلى، اذن... وتعرف بأدوات أو علامات التقطيع النصي Marques de séquencialité. وتعتبر هذه العلامات مؤشرا هاما لعمليةٍ ما وراء خطابية تدل على مجهود خفي يقوم به المتكلم/ الكاتب من أجل تنظيم النص وتسهيل عملية التلقي والتأويل.[2]

[1] أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، دار الآداب بيروت، ط15، 2000، ص 32

[2]) Michel Charolles. Op cit, P 09.

إن هذه المخططات هي أشكال تنتظم من خلالها المتتاليات الجملية في النص الواحد، غير أنها " لا تشكل مع بعضها البعض مستويات ذات طابع تراتبي لأن الوحدات فيها لا تتداخل وتتفاعل مع بعضها البعض لتشكل وحدة عليا." [1]

كان هدف **شارول** من تحديد هذه المخططات وصف بعض الظواهر النصية وصفا لسانيا ولأجل تحقيق نفس الهدف قام **ج. م. أدم** أيضا باقتراح مخططات لتنظيم النص.

2.1.مخططات تنظيم النص عند جون ميشال أدم: (Jean-Michel Adam)

أعاد **ج. م. أدم** صياغة مقترحات **شارول** لتنظيم النص، محدثا بعض التغييرات، حيث استبدل مفهوم المقطع بالقطعة (Segment) تاركا فكرة المقطع لوصف البنية التراتبية وميز بين ستة مخططات لتنظيم النص هي:[2]

1.2.1.السلاسل: (Les chaines)

لتحقيق الانسجام وضمان استمرارية أي تتابع لساني يظهر التكرار كشرط أساسي لذلك. ويتحقق التكرار بوسائل لغوية كالإحالة بالضمائر أو أسماء الإشارة أو الترادف أو التعريف.[3] غير أن التكرار – مع ضرورته– لا يكفي لوحده لتحقيق نصية النص، فقد حدد **ج. م. أدم** الفرق بين النص واللانص وفق شروط ثلاثة هي: الإعلامية ونمو النص والانسجام.[4]

---

1) Ibid, P 06.
2) J. M.Adam : Eléments de linguistique textuelle, Op cit, P 51.
3) Ibid, P 52.
4) Ibid, P 44-45.

فقد يقدم المتكلم معلومة في متتالية من الجمل المكررة كقوله:

- فصل الصيف على الأبواب.
- فصل الصيف على الأبواب.
- فصل الصيف على الأبواب.
- فصل الصيف على الأبواب.

غير أن هذه الجمل لا تحمل معلومات تنمو نحو نهاية، فإلى غاية الجملة الثانية لا تحمل المتتالية أي معلومة جديدة.[1]

وفي حالة أخرى قد تحمل المتتاليات الجملية معلومات كثيرة جديدة مرتبطة ببعضها البعض بشكل من الأشكال محققة نموا قويا، ولكنها تفتقد للانسجام كما هو موضح في المثال الآتي:

- التقيت الرجل وكتبت تقريرا وسلمت على أصدقائي ونمت قليلا وقرأت كتابا وصليت المغرب.

فهذا التتابع لا يستحق أن يكون نصا بسبب غياب ظاهرة التكرار فيه، و بالتالي عدم توفير شرط الانسجام. وبهذا تكون النصية " توازن بين الاستمرارية (التكرار) من جهة ونمو المعلومة من جهة أخرى." [2]

فالإحالة في لسانيات النص هي وسيلة من وسائل الاتساق، فهي تساعد على خلق علاقات شكلية ومعنوية بين مختلف عناصر النص في شكل متسلسل،

---

1) Ibid ,P 44.
2) Ibid, P45.

ويشترط وجود انسجام أو توافق بين المحيل والمحال إليه من خلال اشتراكهما في بعض الصفات كالتذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع.

وتتم الإحالة إلى عناصر داخل النص أو خارجه يدل عليها السياق اللغوي أو المقام، ويتبين المعنى من خلال قصد المتكلم، لذلك أضاف ج. م. أدم إلى أدوات الإحالة والتعريف والإبدال المعجمي كل من مسائل الافتراض المسبق والإضمار.[1] وعرّف العائد **L'anaphore** بأنه " ظاهرة للتذكير بالمعلومة المقدمة أين يتدخل كل من المعرفة أو المعلومة التي يصنعها النص في حد ذاته والمحتوى المضمر الذي يستنتج اعتمادا على المعنى المعجمي والمعرفة الموسوعية والثقافية. "[2]

وتجبر أدوات الإحالة المتلقي على البحث في مكان أخر عن معناها أو عما تحيل إليه بواسطة معرفة العالم والسياق لأجل تحقيق تماسك النص.

وتتكرر الإحالة (الضمائر مثلا) في النص الواحد مكونة سلسلة تحيل إلى نفس الشيء، او الشخص، او المكان... وتساهم في تماسك النص الدلالي وتسلسله المنطقي كما هو مبين في المثال الآتي: [3]

كان (سي طاهر) يعرف متى يبتسم، ومتى يغضب ويعرف كيف يتكلم، ويعرف أيضا كيف يصمت. وكانت الهيبة لا تفارق وجهه، ولا تلك الابتسامة الغامضة التي كانت تعطي تفسيرا مختلفا لملامحه كل مرة.

---

1) J. M. Adam, Eléments de linguistique textuelle, Op. cit, P 52.
2) Ibid, P 52.
3) أحلام مستغانمي، سابق، ص 30.

تظهر السلسلة هنا أو الرابط النصي من خلال تكرار ضمير الغائب "هو" (المستتر والمتصل) الذي يعود على (سي طاهر)

كان (سي طاهر)..... يبتسم (هو)..... يغضب (هو)..... يعرف (هو)..... يتكلم(هو)..... يعرف (هو)..... يصمت (هو).... وجهـ(ه)... ملامحـ(ه).

2.2.1. الفضاءات الدلالية: (Les phénomènes de prise en charge et la polyphonie)

إذا انتقلنا من السلاسل الاتساقية إلى الفضاءات الدلالية نكون قد انتقلنا من مستوى تحليلي إلى آخر. ففي الأولى يتعلق الأمر بالترابط النحوي، عامل من عوامل استمرارية النص ونموه، اما في الثانية (الفضاءات الدلالية) فيتم النظر إلى البنية الدلالية واللفظية للخطاب. [1]

فالترابط بالمفهوم الدلالي يهدف إلى تمكين المتلقي من فهم النص وتحقيق وحدته الدلالية حتى في حالة اللاتجانس الذي يظهر من خلال علامات من قبيل "بالنسبة لي"، " في رأيي"... وهي ما تسمى عند **شارول** بالمدى (Portée). أين يتم استعارة أقوال الآخرين وأفكارهم وآرائهم باستعمال علامات لغوية مثل: حسب (شارول) مثلا، بالنسبة لـ (شارول)، في رأي (شارول)، في نظر (شارول)، من وجهة نظر (شارول)،[2] ولنلاحظ المثال الآتي:

1) J. M. Adam : Eléments de linguistique textuelle, ibid, P 60
2) Ibid, P 61.

- حسب بيان الجمعية الجزائرية لمحو الأمية "أقرأ"، تمكنت الجزائر من تقليص نسبة الأمية من 31.6% سنة 1998 إلى 14% خلال سنة 2015.

يبرز المثال ظاهرة تعدد الأصوات المتمثلة هنا في نسبة القول أو الخبر أو المعلومة إلى أصحابها (الجمعية الجزائرية) باستعمال " حسب " لأجل الاستشهاد على صحة المعلومة. يضاف إلى ذلك كل أشكال الخطاب المنقول[1]المباشر باستعمال الظفرين أو المزدوجتين كقولنا: يقول الدكتور أحمد نحلة: "...

أو قول الراوي في ذاكرة الجسد:

كيف تذكرت هذا البيت للشاعر« هنري ميشو »ورحت أردده على نفسي بأكثر من لغة....

" أمسيات... أمسيات

كم من مساء لصباح واحد"[2]

وهذا ما يسمى باللاتجانس الظاهر (من خلال علامات التنقيط والمزدوجتين وعلامات الوقف (كعلامة الاستفهام والتعجب)، وكذلك الخطاب المنقول غير المباشر والخطاب غير المباشر الحر كما هو مبين في المثالين الآتيين على التوالي:

- أكد المدير التقني للمحاسبة الوطنية على مستوى الديوان الوطني للإحصائيات أن كل المؤشرات الاقتصادية التي يتم دراستها عن طريق

---

[1] Ibid.

[2] أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، سابق، ص 22.

الحسابات القومية تبرز أن الجزائر تعد من ضمن الأوائل على المستوى الإفريقي. (مجلة الأمة العربية 2014).

ينسب الكلام المنقول في هذا المثال إلى صاحبه المدير التقني للديوان الوطني للإحصائيات من خلال العلامة اللغوية " أكد... أنّ... " ويتمثل كلام المدير في (كل المؤشرات **إلى غاية**... الإفريقي)، فهو خطاب غير مباشر.

أما الخطاب المنقول غير المباشر الحر فيتميز بعدم وجود علامات لغوية مثل:" قال" وعلامات شكلية كالمزدوجتين، كما هو مبين في المثال الآتي:

- لم يكن القدر فيه هو الطرف الثاني، كان منذ البدء الطرف الأول. أليس هو الذي أتى بنا من مدن أخرى، من زمن آخر وذاكرة أخرى ليجمعنا في قاعة بباريس، في حفل افتتاح معرض للرسم؟[1]

فقول الراوي هنا (سي خالد) غير مباشر لعدم وجود الفعل المستعمل لنقل الخطاب كـ "قال" أو "سأل" هنا مع وجود علامة الاستفهام الدالة على أنه القول المنقول، الذي يبدأ بـ "ليس وينتهي بـ معرض للرسم؟ ويعرف من خلال السياق أنه غير مباشر حر (بدون علامات لغوية.)

3.2.1. التقطيع:(La segmentation)

يسمى التقطيع إلى فقرات عند **شارول** مقاطع ويعتبر العنوان لوحده مقطعا منفصلا يعوض كل النص ويشير هذا التقطيع مع العلامات النصية (من جهة،

[1] أحلام مستغانمي، سابق، ص 51.

من جهة أخرى، اذن...) إلى عملية ما وراء خطابية يقوم بها المتكلم لتنظيم النص.

أما **ج. م. أدم** فيحبذ استعمال مصطلح تقطيع ويسمي كل وحدة مقروءة بالعين (Vi–lisible) –تشكل مخططا للنص– بقطعة (segment)، وتشمل القطعة كل من الفصل والفقرة والعناوين والعناوين الفرعية وكل ما يتعلق بطريقة تنظيم الصفحة أو توزيع الوحدات على مختلف الأماكن في الصفحة أو توزيع الوحدات على مختلف الأماكن في الصفحة، وتشمل أيضا علامات الوقف والترقيم...

وتعتبر علامات الوقف وسيلة لإراحة القارئ، وتوجيهه أثناء قراءة النص وهي إحدى الوسائل المساعدة على تأويل وفهم النص. [1]

من أشكال التقطيع أيضا ما نلاحظه عند الاطلاع على قصيدة شعرية " فالأبيات الشعرية تعتبر وحدات مقروءة بالعين (Vi–lisible) بشكل واضح جدا "[2]، ويساعد تقطيع القصيدة إلى أبيات على قراءتها وعلى التمييز بين القصيدة القديمة والقصيدة الحديثة كما هو الشأن في الشعر العربي أين يحكم على نوع القصيدة إن كانت عمودية أو قصيدة حرة بالنظر إلى تقطيعها إلى أبيات تتكون من صدر وعجز، او أسطر متفاوتة الطول.

1) J. M.Adam : Eléments de limgistique textuelle, Op cit, P 70.
2) Ibid, P 72.

ويتم تحديد تقطيع النص المكتوب عن طريق علامات الوقف بينما يُقطع النص الشفهي عن طريق التنغيم[1]، وتقوم عملية التقطيع (من أصغر مستوى (الجملة) إلى أكبر مستوى، فصول، فقرات...) بدور هام في بناء المعنى عن طريق تجميع الوحدات في فقرات وفصول وأبواب تنظمها الفواصل والفواصل المنقوطة والنقاط وعلامات التعجب والاستفهام والقوسين والمزدوجتين والخط في أول السطر الدال على تبادل الخطاب بين المتكلمين.

وتتفاوت الجمل والفقرات والفصول... في الطول والتركيب حسب أهمية الكلام في العملية التواصلية.[2] ويمكن التمثيل للتقطيع بهاذين المثالين:

أ. مع انخفاض درجة الحرارة وهطول الأمطار، علمنا أن فصل الشتاء قد حل.

ب. في وقت مضى كان الحاسوب حكرا على مجموعة ضيقة من الناس، بيل غايت Bill Gates مكّن كل فرد من امتلاك حاسوب شخصي.

يحتوي المثال(أ) على جملة واحدة والمثال (ب) يضم جملتين، هذا التقطيع يقع بناءا على " النقطة " فيما تقوم الفاصلة بتبيين حدود القضايا الرئيسية في النص وهذا بناءا على عنصر الدلالة وأهمية الجمل بالنسبة للتواصل.

1) J. M. Adam : la linguistique textuelle, introduction à l'analyse des discours, Armand Colin, Paris, 2005 P51.
2) J. M.Adam : la linguistique textuelle, introduction à l'analyse des discours, Op cit, P 51.

4.2.1.الدور: (période)

الدور مفهوم قديم، عرف في الأسلوبية والبلاغة القديمة، حيث عّرفه سقراط بـ "الجملة التي تشمل ضمن حدودها على بداية ونهاية. وهي سهلة الفهم والتذكر لورودها بإيقاع معين، ولهذا يكون حفظ الشعر دائما أيسر من النثر، ولان الشعر أيضا يقاس بالعدد "[1]. وفي الخطاب الشفوي يعرف الدور بالإيقاع الموحد.[2]

وفي القرن 18م انتقل مفهوم الدور إلى النحو أين أصبح يعرف بـ " الجملة المركبة التي تصنع دلالة كاملة، وتعد كل قضية فيها جزءً، حيث يسمى آخر جزء فيها بالنهاية (clausule)" فالدور يكتفي بذاته من حيث الدلالة التي تعد الرابط الأساسي بين أجزاء الدور الواحد.

وعرف الدور عند بعض النحويين بمجموعة من القضايا المرتبطة بروابط مع وجود رابط دلالي طبعا، الا أن البعض ركز على قضية الإيقاع[*] باعتباره

---

1) Charaudeau, Maingnenau, Dictionnaire de l'analyse du discours, Op cit,P 425 et M. Adam, La Linguistique textuelle, introduction à l'analyse des discours,p 141.

2) I.M. Adam, Ibid**, P 141.**

[*] **الإيقاع:** هومفهوم مشترك بين عدة مجالات (الموسيقى، الرقص، الشعر، الرسم...). وهو عند أفلاطون" الحركة المنتظمة "

والإيقاع في الشعر يعني التكرار الدوري لعناصر مختلفة في ذاتها متشابهة في مواقعها ومواضعها، بهدف الكشف عن الوحدة من خلال النوع، والإيقاع هو المميز للشعر عن الأنواع الأخرى، ويرى بعض الباحثين أن مصطلح الإيقاع لم يكن موجودا في البلاغة العربية بل هو وليد الاحتكاك بالثقافة الغربية، غير أن الدراسات في التراث العربي كشفت وجود المصطلح عند النقاد القدامى مثل ابن طبابا. ويرتبط الإيقاع بالصوت من حيث خصائصه السياقية كالدرجة والمدى والنبر والتردد، وتطور مفهوم الإيقاع في الثمانينات ليصبح مرتبطا بالخطاب عموما حيث يعتبر تنظيما للكل، وكما أن الخطاب يشكل وحدة مع معناه كذلك لا يمكن فصل الإيقاع عن معنى الخطاب، والإيقاع إبداع فردي يتعلق

سببا آخرا لوجود الفراغات أو الاستراحة في الخطاب إلى جانب الحاجة إلى التنفس.[1]

وفي خطبة **الحجاج بن يوسف الثقفي** مثال واضح عن الدور. خطب **الحجاج** في أهل الكوفة فقال: " يـا أهل الكوفة إن الفتنة تلقح بالنجوى وتنتج بالشكوى وتحصد بالسيف /// أما والله إن أبغضتموني لا تضروني/// وان أحببتموني لا تنفعوني// وما أنا بالمستوحش لعداوتكم ولا بالمستريح إلى مودتكم/// زعمتم أني ساحر وقد قال الله تعالى: ﴿ **ولا يفلح الساحر**﴾ وقد أفلحت. "[2]

تحتوي هذه الخطبة على دورين، يبدأ الأول من بداية الخطبة (يا أهل الكوفة) إلى غاية (مودتكم) وأما الثاني فمن (زعمتم(إلى (أفلحت). أما الدور الأول فهو عبارة عن جملة طويلة تنتهي باستوفاء الدلالة حقها دون الحاجة إلى ما بعدها، يعبر فيها الحجاج عن كرهه لأهل الكوفة. ويتميز هذا الدور بالإيقاع الموحد عبر ثلاثية ثم ثنائية ثم ثنائية يوحدها وجود نفس النهاية ونفس التركيب أو ما يسمى في البلاغة بالسجع مما يساعد على تحديد توقف المتكلم للاستراحة وهي كالآتي:

بعملية تحويل الخطاب المكتوب إلى شفوي وهذا في فن النثر خاصة الخطب أين يظهر الإيقاع من خلال تكرار الحروف والكلمات والجمل، والتوازن بين الجمل من حيث الطول باعتماد الفواصل المقفاة واستعمال الجناس والتقابل.

[1] I.M. Adam, La Linguistique textuelle, introduction à l'analyse des discours,op.cit, P 141.

[2] منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، 2009، ص 291.

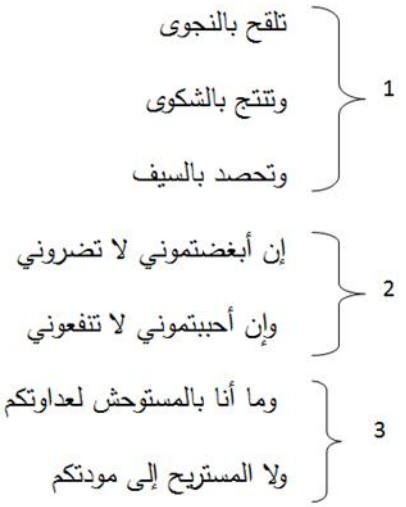

وتربط بين أفراد هذا الدور في غالب الأحيان حرف العطف (الواو) والتقابل بين الثنائيتين (2) و(3) في المعنى.

أما الدور الثاني فيتميز بالقصر بالنظر إلى الدور الأول والترابط عن طريق التكرار في (ساحر والساحر) و(يفلح وأفلحت)، وهو مع قصره تام المعنى. ويفصل بين الدورين في النص الكتابي النقطة لكن في الأصل (الشفهي) الفاصل هو السكتة أو الصمت.

وأما في اللسانيات النصية، فقد بدأ الاهتمام بدراسة الدور منذ الثمانينات من القرن الماضي، وكان **ميشال شارول** أول من اعتبر الدور من ضمن المخططات التنظيمية للنص.

أما **ج. م. أدم** فيعرّف الدور من منظورين:

1.عبارة عن بُنى إيقاعية بدون روابط تتميز بالتكرار والتوازن بين الوحدات اللغوية[1]، بحيث ينوب الإيقاع عن الروابط ويوحد بين وحدات الدور التركيبية وبينها وبين معنى الدور الإجمالي. كما هو موضح في المثال الآتي المتمثل في خطاب للرئيس الراحل هواري بومدين بعد هزيمة حرب 1967 أو ما يسمى بنكسة العرب.

- هل العرب.../// هل الأمة العربية استعملت كل طاقاتها؟/// هل الأمة العربية استعملت كل الطاقات البشرية المختلفة؟ /// هل الأمة العربية استعملت كل الطاقات المادية التي في يدها؟ /// هل الأمة العربية استعملت كل الأسلحة حتى تقول بأنها خسرت المعركة؟ [2]

هذا الدور رباعي يتميز بالترابط الدلالي الذي يصنعه الإيقاع رغم غياب الروابط. وأما الإيقاع فيصنعه التكرار في بداية كل جملة: "هل الأمة العربية استعملت كل..."، اضافة إلى توازي الجمل من حيث الطول والصيغة.

2.الدور المبني على أساس الروابط(parenthésages) وهو الدور المبني أيضا على توازن الجمل من حيث الطول والتركيب إضافة إلى التكرار المعجمي مع وجود رابط.[3] كما هو مبين في المثالين الآتيين:

(أ) خسرت العرب معركة ولكن لم تخسر الحرب.

[1)] J.M.Adam : La linguistique textuelle, introduction à l'analyse des discours, p141.

[2)] هذه القطعة مأخوذة من النسخة السمعية البصرية عن طريق Youtube.

[3)] J.M.Adam : La linguistique textuelle, introduction à l'analyse des discours ,p142.

هذا الدور قصير (جملة قصيرة) يتكون من قضيتين ترتبط بواسطة (لكن) التي شكلت مع (لم) ضدا للقضية الأولى.

(ب) خطب **أبوبكر الصديق** رضي الله عنه حين استخلف على المسلمين فقال: [1] " أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم، فان رأيتموني على حق فأعينوني، وان رأيتموني على باطل فسددوني، اطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم."

إن المتلقي لهذه الخطبة يلمس إيقاعها من أول قراءة (بالنسبة للنص المكتوب) الذي يظهر من خلال تكرار بعض الكلمات مثل: رأيتموني وأطيعوني – أطعت– طاعة ووجود توازن بين الجمل من حيث الطول والتركيب في قوله:

فإن رأيتموني على حق فأعينوني

وإن رأيتموني على باطل فسددوني

وهي في نفس الوقت مقابلة ويتميز هذا الدور أيضا بوجود الروابط بين الجمل مثل الواو والفاء.

يضاف إلى الإيقاع والروابط دور علامات الوقف والعلامات السياقية كالاستفهام والتعجب كما هو الحال في مثال خطاب الرئيس هواري بومدين رحمه الله (هل الأمة العربية استعملت كل الأسلحة حتى تقول بأنها خسرت المعركة؟)، فالاستفهام فرض إيقاعا خاصا على الدور مما جعله يحمل وظيفة حجاجية لإثبات تقصير العرب في الحرب.

[1] علي الطنطاوي، ابوبكر الصديق، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، 1986، ط 3، ص 276.

ملاحظة: لا يعني وجود النقطة في الدور نهايته لأنه قد توضع النقطة في وسط الدور ولا يكون المعنى قد اكتمل، وفي هذه الحالة يتدخل الإيقاع أو الروابط للفصل في إنهاء الدور أو استمراره.

5.2.1. البنية المقطعية structuration séquentielle :

إن طبيعة تكوين النص المعقدة تفرض علينا التعامل معه من خلال وحدة أكبر من الجملة هي المقطع، الذي يتكون بدوره من جمل كبرى وهي بدورها تتكون من جمل صغرى لتشكل كلها بنية تراتبية عليا هي النص، كما يظهر في المخطط الآتي:[1]

[نص [مقطع أو مقاطع [جملة أو جمل كبرى [جملة أو جمل صغرى]]]]

مع العلم أن الربط بين المقاطع في النص الواحد معقد وحالات التجانس النصي نادرة جدا. ويقترح ادم ستة أنماط أساسية للبنى المقطعية هي: السرد والإيعاز والوصف والحجاج والتفسير والحوار. سنركز في هذا المقال على السرد.

السرد:

يعتبر هذا النوع من المقاطع أكثر الأنواع التي حظيت بالدراسة في الدراسات القديمة كالبلاغة والشعرية (عند أرسطو) وكذلك في الدراسات الأدبية واللغوية الحديثة، وتتجلى تحت السرد أجناس خطابية متنوعة كالرواية والمونولوج والأمثال والقصص والفكاهة والحوادث وقصص الحيوان...

[1] Jean- Michel Adam, Elément de Linguistique textuelle, P85.

ويعرف السرد بمعناه العام بصيرورة الأحداث، اما **ج. م. أدم** فيرى أن السرد" متتالية من القضايا/ الجمل المرتبطة مع بعضها البعض مشكلة وحدة تنمو نحو نهاية"[1]؛ يشكل هذا التتابع خطابا يحتوي على أحداث متتابعة تخص قضايا وتجارب إنسانية، وهذا يقودنا إلى الحديث عن الشخصيات التي وإن خرجت عن النوع الإنساني أي حيوان أو أشياء يشترط أَنْسَنَتَهَا (personnages anthropomorphe) [2] لخدمة قضايا ومصالح إنسانية.

تتحرك الشخصية أو الشخصيات في زمن معين وتتوالى الأحداث ضمن ترتيب منطقي في زمن الماضي وإن كان غير خطي يجري ضمن استباقات واسترجاعات، ويمكننا عامل الزمن من التمييز بين السرد وباقي الأشكال النصية التي تتميز بتتابع الأحداث كوصفات الطبخ وقواعد اللعبة ونصوص القوانين مثلا.

يميز الأحداث المتوالية أو الحبكة وجود بؤرة التوتر التي تعني تأزم الأحداث وتفاعل الشخصيات معها والتي تقود السرد نحو نهايته. وتحمل الأحداث موضوعا رئيسيا واحدا ينتظم في ثلاث مراحل هي: البداية والعرض والنهاية.

وتعرف كل من الأحداث والشخصيات والتتابع الزمني والبؤرة وموضوع السرد بمكونات السرد، يضيف إليها **ج. م. أدم** مكونا سادسا يمثل شكل من أشكال التقييم وهو الدرس الأخلاقي الذي يهدف إليه السرد.[3]

1) J. M. Adam ,Les textes : Types et prototypes, Armand Colin,3eme ed,Paris, 2011, p101.
2) Ibid, p102.
3) J. M. Adam : éléments de linguistique textuelle, op.cit, P87.

مخطط السرد:

تبدأ العملية السردية بمقدمة سردية توضح ظروف الحكي وحالة الشخصيات الأولى، تتحرك الشخصيات وتتوالى الأحداث صانعة حبكة النص (intrigue)، تصل إلى حالة التأزم وتغير عادات الشخصيات لتصنع العقدة التي تحل بأحداث تنقص من حدة التوتر لتؤدي إلى نقطة الانفراج (dénouement). ويمكن تمثيل ما قلناه في المخطط الآتي:

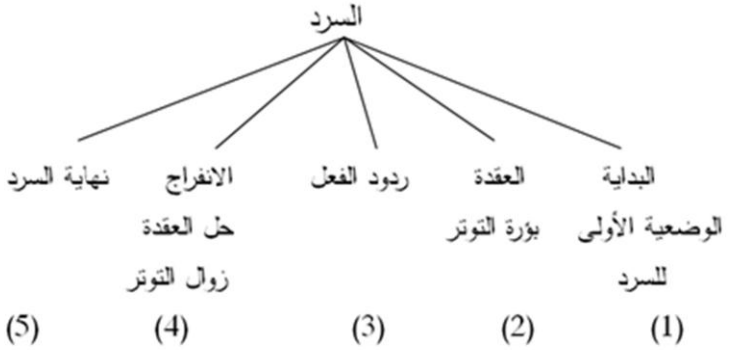

6.2.1. التوجه التداولي لإدراك النص ككل. L'orientation pragmatique configurationnelle)

إذا كانت المخططات السابقة (الأدوار والسلاسل والفضاءات الدلالية) تضمن صياغة النص من متواليات جملية تسمح بتفسير النص كوحدة وليس مجرد تتابع عشوائي وتضمن بنيته التركيبية استمراريته، فإن التوجه التداولي لإدراك النص فيضمن التنظيم التداولي للنص الذي يشمل من جهة التنظيم الدلالي

المتعلق بالموضوع العام للنص وكذلك قضايا التعدد الصوتي ومن جهة اخرى ينظم أفعال اللغة المتعلقة بمقصد المتكلم.[1]

وبالنظر إلى جنس النص قام **ج. م. أدم** بتصنيف مخططات النص إلى نوعين: المخططات الثابتة والمخططات العرضية.

1-المخططات الثابتة:

هي مخططات خاضعة لجنس النص (Le genre) بحيث تسمح ببناء (أثناء عملية إنتاج النص) وإعادة بناء (أثناء عملية التلقي السمعي) التنظيم العام للنص.[2]

وهي مخططات ثابتة لا تتغير، تصلح لجميع النصوص التي تنتمي لنوع أو جنس أدبي معين، فمخطط كتابة الرسائل يعد نموذجا واضحا للمخططات الثابتة من حيث مكونات نص الرسالة التي تتراوح بين الثلاث والخمس وحدات هي: التحية التي تمثل بداية التواصل مع المرسل إليه يليها العرض أو التعريف بالموضوع، ثم الخاتمة التي تمثل إنهاء التواصل وهي في الأصل تحضير لتواصل مستقبلي مع المرسل إليه.

ويسبق المقدمة والخاتمة وحدات (Péritextuelles) تقع خارج حدود الرسالة كالعنوان (المسكن) وتاريخ اليوم في أعلى الرسالة، وعبارات اللباقة في آخر الرسالة.

---

1) J. M. Adam :L'argumentation dans le dialogue, Langue Française, 1996, V112, N°1,p32.

2) J. M. Adam : La linguistique textuelle, Introduction à l'analyse des discours, Op.cit., P177.

ويمكن تلخيص مخطط كتابة الرسالة كالآتي: [1]

افتتاح الرسالة التاريخ (الزمان) العنوان (المكان)	مقدمة	العرض لب الرسالة	خاتمة	إنهاء الرسالة عبارات اللباقة والإمضاء
(01)	(02)	(03)	(04)	(05)

هذا والاختتام ما يسمى بالوظيفة (Fonction phatique) وبينهما نجد جسد المحادثة أو التبادل الحواري الذي يتم بين المتحاورين.

افتتاح المحادثة دخول في التبادل الحواري وظيفة.....	تبادل حواري جسد المحادثة	اختتام المحادثة خروج من التبادل الحواري وظيفة.....
(1)	(2)	(3)

من المخططات الثابتة أيضا في المسرح الأوروبي القديم نجد البناء المسرحي الذي يتكون من خمسة فصول بالنسبة للتراجيديا وثلاثة فصول بالنسبة للكوميديا.[2]

ويمكن اعتبار بنية القصيدة العربية القديمة خاضعة لمخطط ثابت فرضته التقاليد الجاهلية، فالقصيدة العمودية تبدأ دائما بمقدمة طللية يذكر فيها الديار والحبيبة ووصف رحلة الصيد ثم دخول الشاعر في الغرض المراد.

1) Ibid.
2) Ibid., P180.

2 -المخططات العرضية:

يتعلق هذا النوع من المخططات بالنص في حد ذاته ويخضع لجنسه فعملية إنجاز نص ما هي في الحقيقة عملية إنتاج لمخطط عرضي لأن هذا البناء أو الهيكلة يركز من جهة على التقسيمات الكبرى أو الفقرات، وعلى المعطيات المتعلقة بالنص Péritextuelle (العناوين الفرعية، الفصول، الأجزاء...)[1] من جهة أخرى؛ هذا يعني أن النص يمكن أن يتبنى المخطط المفروض من قبل التقسيمات الظاهرة (أدوار، مقاطع)، " ويمكن أن تساعد المنظمات النصية (بداية، ايضا، من جهة، من جهة أخرى، اخيرا...) وكذلك علامات الوقف والفراغ في بداية الفقرات في إخراج مخطط النص"[2].

فالرسالة المتداولة بين الأصدقاء لا تخضع لمخطط ثابت بل تختلف من كاتب لآخر وكذلك الشعر الحديث (التفعيلة) وحتى الشعر العمودي تحرر من قيود القصيدة الجاهلية.

3.السرد في "سورة يوسف" عليه السلام:

يتميز نص السورة بنمطه السردي لأنه المقطع الغالب في السورة، علما أن السورة تحتوي أيضا على أنماط أخرى من قبيل الحوار، والإيعاز والوصف والحجاج وكلها تخدم سيرورة الأحداث في القصة.

تبنى القصة في عمومها حول شخصية محورية تدور حولها الأحداث وتخدمها وتبرزها باقي الشخصيات، وتتجسد هذه الشخصية المركزية في شخص نبي الله

1) La linguistique textuelle, Introduction à l'analyse des discours, Op.cit,p180
2) Ibid, P181.

يوسف عليه السلام؛ فهو صاحب الرؤيا والمبشر بالنبوة، وهو الذي حبكت ضده المكائد، والقي في الجب، و بيع للعزيز، ودخل السجن وعبّر رؤيا الملك، ولي على خزائن الأرض، وقابل إخوته وطالب بإحضار أبويه وغفر لإخوته خطأهم[1].

وتترابط هذه الأحداث لتصنع الحبكة، فهي لم ترد منعزلة؛ فأول القصة خطيئة (محاولة قتل يوسف عليه السلام من قبل إخوته)، واخرها العفو(عفو يوسف عن إخوته وإحضارهم إلى المدينة) وبينهما يظهر صراع بين الشهوة (مراودة امرأة العزيز ليوسف) والفضيلة (عفة يوسف) ومقابلة الرق (بيع يوسف للعزيز) بالسيادة (قيام يوسف على خزائن الأرض) والهم بالفرج (معاناة يوسف منذ أن ألقي في الجب إلى غاية خروجه من السجن) والمرض (إصابة يعقوب عليه السلام في عينه من الحزن) بالشفاء (شفائه حين ألقي عليه قميص يوسف).

فإذا أتينا إلى السرد في السورة نجده يرتكز على التسلسل الزمني المنطقي للأحداث، لذلك " نجد القصة كاملة في سورة يوسف على خلاف القصص القرآني الموزع على سور عديدة في القرآن الكريم، وهي سورة مكية، ولم تذكر قصة في القرآن بمثل ما ذكرت به هذه السورة من الإطناب"[2].

يتناول السرد القرآني قصة سيدنا يوسف بشكل زمني خطي من طفولته إلى بلوغ أشده إلى رجولته دون استباق أحداث أو استرجاع أخرى[3]، بدء من الرؤيا ومرورا بحقد الإخوة وكيدهم وبداية التأزم بحمله عبدا وازدياد التوتر بغواية امرأة

---

[1] تمام حسان، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1993، ص 558

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير الدار التونسية للنشر، 1984، ج12، ص197.

[3] تمام حسان، البيان في روائع القرآن، نفسه، ص 595.

العزيز له ليصل أوجه بدخوله السجن الذي يمثل العقدة، وتبدأ بالانفراج تدريجيا بعد بيان قدرته على تأويل الأحلام ثم تولي السلطة ولقاء الإخوة والإحسان إليهم وأخيرا لقاء الأب. وتنتهي السورة بتفسير الرؤيا التي بدأت بها.

خاتمة:

إن التعامل مع النصوص من خلال وحدة أكبر من الجملة – المقطع– يمكن من معرفة نمط كل مقطع في النص وبالتالي نمط النص ككل الذي يعيّنه المقطع الغالب، وداخل هذا النمط يُحدَّد جنس الخطاب (قصة أو حكاية أو مسرح...) ويحدد معه مخططه الذي يكون ثابتا أو عرضيا خاص بنص بعينه.

يساعد مخطط النص التنظيمي على فهم كيفية انتظام النص وبالتالي إرشاد منتج النص في عملية صنعه والمتلقي في فهمه، كما يمكن من التدليل على وحدة النص الدلالية رغم التنوع النمطي المقطعي داخل النص الواحد، فمن النادر جدا العثور على نص متجانس ذي مقطع واحد، ولكن العبرة في انسجام النص رغم تعدد مقاطعه.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- حسان تمام، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط 1،1993.

- الطنطاوي علي، ابو بكر الصديق، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، 1986.

- عبد الحكيم منصور ، الحجاج بن يوسف الثقفي، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، 2009.

- الوكيبيديا، الموسوعة الحرة.

- مستغانمي أحلام ، ذاكرة الجسد، ، دار الآداب بيروت، ط15، 2000

- Adam Jean- Michel:

- Eléments de linguistique textuelle, théorie et pratique de l'analyse textuelle, piere Mardaga, Luxembourg,1990.

- L'argumentation dans le dialogue, Langue Française, V112, N°1,1996,.

- la linguistique textuelle, introduction à l'analyse des discours, Armand Colin, Paris, 2005.

- Linguistique textuelle, des genres de discours aux textes, Edition Nathan/HER, Paris, 1999.

- Les textes : Types et prototypes, Armand Colin,3eme ed,Paris, 2011.

- Charaudeau Patrick et Maingueneau Dominique: Dictionnaire D'Analyse du Discours,Edition Seuil,2002.

- Charolles Michel: Les plans D'organisation textuelle, périodes, chaines, portées et séquences, Pratiques N° 57,1988.

- Haliday M.A.K. and Hasan Ruqaia, Cohesion in English, , LONGMAN, London,1976.